بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة الإسكندرية
كلية الفنون الجميلة
الدرسات العليا

المرأة فى التشكيل المعاصر فكرياً و بصرياً

Woman in contemporary plastic art visual and intellectual Aspects

رسالة علمية

مقدمة إلى الدراسات العليا بكلية الفنون الجميلة – جامعة الإسكندرية
استيفاء للدراسات المقررة للحصول على درجة

دكتوراة الفلسفة
في
التصوير ، شعبة (التصوير العام)

تحت إشراف

ا.د / فاروق وهبة الجبالي
أستاذ بقسم التصوير – شعبة تصوير عام - كلية الفنون الجميلة – جامعة الأسكندرية

د / رشا على العجرودي
مدرس بقسم التصوير- شعبة تصوير عام - كلية الفنون الجميلة – جامعة الأسكندرية

مقدمة من

نهى عبد المعطي سلطان

كلية الفنون الجميلة – جامعة الإسكندرية

٢٠١٤

الفصل الأول

المذاهب الفلسفية التى ابتدعها الفلاسفة المعاصرين وناقشت الفكر النسوى منذ عام ١٩٦٠ م .

الفلسفة : إبداع المفاهيم ؟

" ما هى الفلسفة؟ " سؤال يجئ عادة كموضوع لمدخل الفلسفة. لكنه عند دلوز Deleuze ، جاء تتويجاً لحياة ، وتركيباً أعلى لفكر فيلسوف غطى إنتاجه الكثيف مفاصل رئيسة من ثقافة النصف الثانى من القرن العشرين. فالفلسفة التى تسأل سواها ، تعيد النظر فى مجمل ما تراكم لديها من أجوبة ، لتطرح ، من خلالها ، سؤال نفسها عينه.

ولقد حسم دلوز الأجوبة فى قولة واحدة ، أن الفلسفة هى إبداع المفاهيم . لم تعد الفلسفة معرفة " المبادئ الأولى " ، ذلك التعريف الإغريقى الأرسطى ، الذى لم تزحزحه أعتى ثورات العقل وانعطافاته الكبرى . حتى كانط Kant اصطلح عليها بتسمية أحدث : " نقد العقل الخالص ". فقد يتضمن إبداع المفاهيم تخوماً من المبادئ الأولى ، ولكنه لا يتحدد بها. وقد يوحى إبداع المفاهيم بما يشبه الممارسة الفعلية للعقل الخالص. لكنه مع ذلك يحمل هذه الممارسة إلى ما لا ينتظره العقل الخالص من ذاته ، ولا تعد به جاهزيته أصلاً. هذا التعريف ، الذى يزعزع كذلك من مواصفات كل تعريف منطقياً ، ينقل الفلسفة من (البحث عن الحقيقة) إلى حيز أدوات البحث. إذ أن المفاهيم لم تكن مفردات للحقيقة ، بقدر ما تصير أدوات أو مفاتيح تتعامل مع أجواء الحقيقة. ولقد قلنا مفاهيم ، ولم نقل مفهوماً. وذلك لأنه لم تعد ثمة طريقة واحدة بعينها تطرق باب أو أبواب الحقيقة. فإن تعددية فى المفاهيم تفترض مداخل كثيرة ومتنوعة التى قد يؤدى بعضها إلى البعض الآخر ، أكثر مما يتجه الجميع نحو قبلة واحدة.

وهذا يعنى أيضاً أن المفهوم ليس هو ذلك الاصطلاح المنطقى . فإن له ثمة شخصية مفهومية وهى أيسنه ينزل إلى الحدث؛ وقد يغدو هو من أبرز حادثاته لأنه لا يكتفى بإعطاء ذاته، بل يتدخل فى عملية استكناه غيره. لا أهمية للمفهوم منقطعاً عما يفهمه لا يجهز كله. ينخرط فى تكوين ذاته عبر تكوينه لغيره. ولذلك فإن دلوز Deleuze يكف عن طلب المفهوم ذاته. قلما يتورط الفيلسوف هنا فى صياغة هيئة مجردة له. بل تراه يجرى وراءه ، وهو عينه يجرى فى كل سبيل ؛ وما دام على هذه الحال ، فليس ثمة وحدة سكونية للمفهوم. أقصى ما يمكنه أن يفعله مع أشياء العالم ، وأشياء الفكر ، هو أنه يجعل الشئ لا يأتى إلا ومعه نظامه ، أو هكذا قد يخيل لنا للوهلة الأولى ؛ لأن نظام الشئ ، هو شئ أيضاً.[١]

---

[١] - جيل دولوز Gilles Deleuze، فليكس غتاري ، ترجمة مطاع صفدى ، ما هى الفلسفة ، المركز الثقافي العربي ، الطبعة الأولى ، ١٩٩١م ، ص ٥

إن سألت دلوز Deleuze: وما هو ذلك المفهوم حقاً ؟ سوف يحيلك على عالم (السطوح) كلها. بكل ما يظهر على السطح ، يشرع فى رسم مفهوم ، شبه مفهوم .. " أفهوم " فى النهاية. والسطح هو سفح تنثال عليه السرعات. والأفهوم هو التقاط مسرع ، موقت ، كذلك هذا الالتقاط لا معنى له ان لم يكن من جنس موضوعه ، أى أنه حادث أيضاً. حتى النص الفلسفى يخترع سطوحه. ويندلق على كل مسطح منها بطريقة مختلفة.

فى مجتمع الأصدقاء حول (مأدبة) الفكر والحب ، صار حلماً أثينياً لا تسمح به حالة العالم الراهنة. ومع ذلك فليس هذا الحاضر الرهيب سوى العصر الأكثر حاجة وعوزاً إلى إبداع المفاهيم ، بدلاً من الأشياء والأضاد. لكن أسوأ مصير على كل حال هو أن تقبل الفلسفة بعزلتها. لهذا ، لم يكتب دلوزDeleuze مواصفات الفلسفة كجهاز مكرس لإبداع المفاهيم ، بل أخذ عنها مهمتها تلك. وشرع فى ممارسة المواصفات حارة ، وعلى الطبيعة : كيف يشتغل سؤال الفلسفة وهو يخلق المفهوم هنا وهناك ، متدخلاً فيما يعنيه ولا يعنيه ، مطالباً بحصته المشروعة لدى كل العلوم والفنون ، والنظريات العلمية ، وفى غابات الألوان (الرسم) ، والألحان ، والرياضة الأحدث تجريداً . إن إبداع المفاهيم ، ينشط فى نص دلوز Deleuze بصورة موسوعية.

ومع ذلك " ان الفنان أو الفيلسوف عاجزان حقاً عن خلق شعب فلا يمكنهما إلا أن يناديا عليه ، بكل قواهما ". أقصى ما يفعله الفيلسوف هو أن يمتلك حدساً ما بالصيرورة. وقد يرى حادثة الصيرورة نفسها فى التاريخ كما لو كان حقل تجاربها اللامتناهية.[١]

إن المرأة لا تولد امرأة ، بل تصبح أمرأة أو تصير امرأة ، وهى حقيقة كشفت عنها الفلسفة الوجودية المعاصرة بالنسبة للإنسان بصفة عامة – كما كشفت عنها "سيمون دى بوفوار" بالنسبة للمرأة بصفة خاصة فى كتابها "الجنس الثانى" وإذا تساؤلنا : ماذا يعنى ذلك؟ كانت الإجابة أنه يعنى الكشف عن الأثر الهائل للأوضاع الاجتماعية على المرأة فهى التى تشكلها فى الإطار الذى نريده لها : " البنت لا تجلس على هذا النحو ، ولا تتحدث بهذا الشكل ولا تضحك ولا تتفوه بألفاظ أو تقوم بحركات كهذه ...إلخ"! ومن هنا فإن المعطيات البيولوجية – رغم أهميتها ليست هى العامل الحاسم فى تشكيل المرأة ، وإنما التربية أو التنشئة الاجتماعية هى التى تقوم بهذا الدور ..

أنه ليس هناك ما يسمى بطبيعة المرأة ، فهذه الطبيعة يشكلها المجتمع مثلها مثل القوانين ، والشرائع والقيم الأخلاقية.

[١] - نفس المرجع السابق ، (ص ١٧) .

تعاريف النسوية:

طرح مصطلح النسوية feminism في عام ١٨٦٠م، ثم طرح في الثلاثينات بقوة في أميركا بينما طرح في أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية وازدهر في الستينات والسبعينات في فرنسا.

يعرف معجم Hachette النسوية بأنها "منظومة فكرية أو مسلكية مدافعة عن مصالح النساء، وداعية الى توسيع حقوقهن"

أمام معجم ويبستر فيعرفها على أنها " النظرية التي تنادي بمساواة الجنسين سياسيا واقتصاديا واجتماعيا، وتسعى كحركة سياسية إلى تحقيق حقوق المرأة واهتماماتها وإلى إزالة التمييز االجنسي الذي تعاني منه المرأة"

وتعرفها Sara Gambel في كتابها النسوية وما بعد النسوية feminism and postfeminism بأنها "حركة سعت الي تغيير المواقف من المرأة كأمرأة قبل تغيير الظروف القائمة وما تتعرض اليه النساء من إجحاف كمواطنات علي المستويات القانونية والحقوقية في العمل والعلم والتشارك في السلطة السياسية والمدنية"

وتعرف الكندية لويز تزبان Lewis Tspa النسوية بأنها "انتزاع وعي فردي في البداية ومن ثم وعي جمعي تتبعه ثورة ضد موازين القوى الجنسية والتهميش الكامل للنساء في لحظات تاريخية معينة". [١]

هنالك نوعان من ناشطات الحركة النسوية:

• ناشطات جماعات المصالح، ويهدفن إلى التأثير في النخبة السياسية، ومن ثم القرارات السياسية والتشريعات.
• ناشطات يستخدمن الخطاب الثقافي

وأهم وثيقتين في هذا الصدد هما:

أ – الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ١٩٤٨م .

ب –اتفاقية (القضاء على كافة أشكال التمييز ضد المرأة) مجلة سيداو cedaw عام ١٩٧٩م .

[1] -http://www.alawan-sa.org

فلسفة الفكر النسوي

رغم تزايد الاهتمام بقضية المرأة في المجتمعات حالياً، إلا أنها ظلت تناقش من منطلق المفهوم العام لحقوق الأنسان والدعوة إلى مساواتها بالرجل ، من خلال مقاربات هدفت إلى فضح المؤسسات والأنظمة والممارسات التي تعوق انطلاق المرأة بحرية في مجال العمل والعلم، مستخدمة العنف بمختلف أشكاله ضدها.. فالاهتمام بالأسس الفلسفية التي تبرر عملية المطالبة بحقوق المرأة والاعتراف بكيانها الأنساني العام ، ظل ضعيفا عند الحركات النسوية في العالم عموماً، حيث انشغلت تلك الحركات بقضايا مطلبية آنية، افتقدت في معظم الأحيان الدعامة النظرية، والحامل المعرفي القوي ما سهل على القوى المحافظة محاصرتها والحد من فعاليتها نظراً لما تتسلح به هذه القوى من قيم المجتمع التقليدي .

أن الفكر النسوي الذي سجل تقدماً ملحوظاً في البلدان الغربية ، نتج عن المبادئ الفلسفية التي اعتمدها لتسويغ برامجه العملية وهي تشمل جميع مناحي الحياة الاجتماعية من المنزل إلى الدولة مروراً بمختلف القطاعات الثقافية والاقتصادية ، وذلك ليس بهدف تبني تلك المبادئ والدعاية لها، بل بهدف التعرف اليها على حقيقتها وعلى المناقشات الحادة التي أدت الى توليدها وتطويرها.

فابتداء من القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ظهرت مفكرات وفلاسفة من أمثال ماري ولتسونكرافت Mary Wollstonecraft ، وجون ستيوارت ملJohn Stuart Mill ، وريتشارد بانكهرست ، طالبوا بمنح النساء حق الاقتراع ومساواتهن مع الرجال قانونياً وسياسياً، لكن تلك الاصوات ظلت منفردة حتى منتصف القرن التاسع عشر حيث تغيرت احداث كثيرة مع ثورة الأنسان الأوروبي وتصاعد مثل الديمقراطية، وتزايد عدد النساء العاملات اللواتي يتمتعن بإستقلال اقتصادي ، فعلت أصوات النساء أكثر، وحدث ما يمكن اعتباره بالموجة الثانية في هذا المجال.

لقد استخدم الفكر النسوي في موجاته المبكرة لغة الحقوق والمساواة. لكن في أواخر عام ١٩٦٠م ، أصبحت عبارات القمع والتحرير مفتاح النشاطات السياسية. وفي العقدين الأخيرين من القرن العشرين ضم هذا المذهب عدداً من المفكرين الذكور وحاز على درجة عالية من الاعتراف في عدد من الخطابات في الفلسفة والعلوم الاجتماعية والانسانية.. فقد انهمك عدد من فلاسفة الحركة النسائية في إعداد نظرية سياسية نقدية تساعد على تغيير المجتمع وبحثوا عن أسس فلسفية تقوم عليها هذه النظرية حيث يكون لها سمات تميزها عن باقي النظريات السياسية بسبب اهتماماتها الدقيقة وبرامجها المتنوعة، واسئلتها عن الاسباب النهائية للظلم الواقع على النساء وأساليب مواجهته، وسعيها لإقامة مجتمع حر إلى أبعد الحدود. [١]

[١] - الأسس الفلسفية للفكر النسوي الغربي، خديجة العزيزي، طبعة أولى ، دار بنسان ، ٢٠٠٥م ، ص٥ .

إن الحركات النسوية بمختلف أطيافها الليبرالية والماركسية والراديكالية ، أدت إلى أحداث جملة من التطويرات المتعلقة بالمفاهيم عموما حيث طورت عبارات مثل الايديولوجيا والأدوار الاجتماعية وغيرها. وقد أحدثت تلك الدراسات تأثيرا على الأدب والدراسات التاريخية ، وأدت الى انبثاق مشكلات منهجية وحوار منتج دفع العلماء للبحث عن اساليب جديدة لكي يفهموا العالم والتاريخ.

لقد اسهمت المفكرات والباحثات في تقديم افكار جديدة عن المرأة وطبيعة علاقاتها في المجتمع وسوف يتم ذكر نظرياتهم بالتفصل لآحقاً ابتداء من سيمون دي بوفوار Simone de Beauvoir في كتابها «الجنس الآخر» حين نبهت إلى أن السمات الأنثوية لاترتبط بجنس المرأة بقدر ارتباطها بالحياة الاجتماعية والثقافية التي تعيشها وقالت عبارتها الشهيرة: «إن الواحدة من النساء لاتولد امرأة، لكنها تصبح فيما بعد امرأة»، و أيضا آن أوكلي Ann Oakley وأليسون جاغار Allison Jagarوالباحثة الاجتماعية سلفيا والبي Sylivia walby، التي تبنت التعريف الواسع للبطريركية وقالت: «إنه نظام من الانظمة والممارسات الاجتماعيةحيث يهمين الرجال على النساء ويقمعونهن ويستغلونهن»، وكذلك كارول بيتمان Carol Pittman التي حددت اشكال البطريركية المتعاقبة على مر العصور ابتداء من البطريركية التقليدية والكلاسيكية والحديثة.

و نظراً لانفتاح فلاسفة الحركات النسوية على فلسفات اخرى اضافة إلى الفلسفة الليبرالية ، تفرع المذهب النسوي إلى عدة حركات لكل منها فلسفتها الخاصة التي تتميز بها.. ومع أن بعض الحركات ظلت موالية لليبرالية بما في ذلك بعض مفكرات المذهب النسوي الليبرالي، واستلهمت الحركات النسوية الأخرى آراءها من فلسفات متعددة أهمها الماركسية ، ومن نظريات التحليل النفسي ومن آراء علماء الاقتصاد والانثروبولوجيا..[1]

[1] - الأسس الفلسفية للفكر النسوي الغربي، خديجة العزيزي، طبعة أولى ، دار بنسان ، ٢٠٠٥م ، ص٧ .

تاريخ الحركة النسوية فى الغرب :

مصطلح (الحركة النسوية) غربي من حيث التكوين والأصل التاريخي ظهرفي بداية القرن التاسع عشر و في عام ١٨٩٥ م ، على وجه التحديد ظهر مصطلح النسوية في الفكر الغربي ، أي بعد كتاب ماركس (رأس المال) عام ١٨٤٤م ، وبعد الثورة الصناعية عام ١٨٥٠ م ، من المفهوم أن هذه الفترة كانت تشهد أواخر الصراع بين قيم الأرستقراطية المسيحية العريقة و البرجوازية التجارية القديمة ، وبداية صراع آخر مع ظهور (الرأسمالية) البرجوازية الصناعية الراغبة في تأكيد ذاتها ثقافيا ً ، بل تعد هذه الفترة ككل بداية القرن العشرين والفكر المعاصر و انتصار الرومانسية ، وبداية العمل بالنظرية النسبية .

" نشأت الحركة النسوية كحركة سياسية اجتماعية تطمح لتحقيق المساواة و ركيزته الفكرية ونقطة إنطلاقه هي التشابه المطلق بين الرجال والنساء، وعلى أساس هذا التشابه المطلق يتوجب إعطاء النساء الحق في الملكية والتصويت وغيرها من الحقوق التي ثبتتها مفاهيم الفكر الليبرالي كالعقلانية والإستقلالية الفردية ، حيث كان الفصل في سوق العمل بين المهن الرجولية وتلك النسائية واضحًا من حيث الأجور والمكانة الإجتماعية وظروف العمل، وإقتصر هذا التيار جهوده في محاولة إدخال المزيد من النساء إلى المهن "الرجولية" من منطلق التشابه، وهكذا ظلت النساء تعانين من تمييز مضاعف ولم تنجح التغييرات الشكلية المذكورة في إحراز تقدم يذكر على حياة الغالبية الساحقة من النساء – النساء العاملات ، فصاحب مكان العمل يتحكم برزق عمّاله عامّة، وبجنسوية الإناث منهم أيضًا، وبطبيعة الحال فالبنية الهرمية لموازين القوى الطبقية لا تخلو من الهرمية المائلة ، الأمر الذي يكرس الدونية البنيوية للنساء ويسهل السيطرة عليهن وعلى جنسويتهن." [١]

هكذا كانت الحركة النسوية في مرحلتها الأولى سواء ذو الاتجاهات الليبرالية او الماركسية من مساواة و حقوق ، الرجال مثل النساء على حداً سواء ، المرأة كرجل لها نفس الحقوق .

في عام ١٩٤٩ م ، كتبت سيمون دى بوفوار Simone de Beauvoir في مطلع كتابها الجنس الثاني " كم ذا من الحبر أريق على الورق في موضوع المرأة حتى ليبدو أن ليس هناك مجال لمزيد من الكتابات ، بمعنى أكثر عمومية بدأ التركيز على خصوصية خبرة المرأة وقيمتها وسيكولوجيتها واختلاف توجهاتها الأخلاقية عن الرجل ، بدأ الحديث عن امرأة ورجل متمايزين مختلفين نحتاج منهم أن يتكاملا ، وخرج علينا الأدب النسوية الوجودي محملا ً بالتركيز على خصوصية المرأة ، بمعنى آخر أنا خلقناكم من ذكر وأنثي ، بالفعل كانت المرأة قد حصلت على جزء كبير من حقوقها .

وقد عمل التحليل النفسي على دراسة تلك الفوارق بين الرجل والمرأة ، وقد ركز على ذلك كذلك علماء اللغة والمعنى و أصحاب التوجه الميتافيزيقى إلى أن ظهرت ما بعد الحداثة إلى النور فكان المصطلح الصادم ،" ما بعد النسوية " كوقفة تاملية مع الحركة النسوية ونقلها من منظور المساواة لمنظور التمييز والاختلاف يسمى البعض هذه المرحلة بالمرحلة الثالثة من النسوية التى سوف يتم الحديث عنها فيما بعد .[٢]

---

[١]- نشر عن كتابات ، رجاز عاترة ، كاتب فلسطيني ، من مدينة حيفا ، عام ٢٠٠٣ م .

[٢] - سوزان موللر أوكين ، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام ، النساء فى الفكر السياسي الغربي ،مكتبة الأسرة ، ٢٠٠٥، طبعةأولى ، ص٦

أن الحركة النسوية تقدم لنا الطرح الأنثوى كفلسفة بالمعنى الأكاديمي لكلمة فلسفة حيث تقدم على نظرية الوجود المتمثل فى الذكر و الأنثى لكل منهم نصف الدائرة والدائرة مقسومة بخط منحنى أي أن هناك تداخلات و احتواء وفى قلب كل نصف يوجد دائرة من النصف الآخر ببساطة كل شيء فى الوجود أما ذكر موجب و أما أنثى وكل ذكر يحمل جزء من خصائص الانثى وكل أنثى تحمل جزء من خصائص الذكر وتختلف نسبة هذا الجزء من حالة إلى حالة .

لكن أهم ما تقدمه لنا الفلسفة النسوية ما يتعلق بالقيم التفكير العقلاني فى مرحلة الحداثة يتمركز حول الذكوريه phallogocentric ، ولكي نفهم ذلك فعلينا أن نصنف هذه الكلمات هل هي ذكورية أم أنثوية أي تستدعى التفكير في الذكر أم الأنثى العقل / العواطف ، السيطرة / الطبيعة ،الروح / الجسد ، القوى / الضعيف الخ

لقد كنا جميعا فى حالة من الذهول المفرط إذاء ما تظل وستظل تفعله ثورة ما بعد الحداثة[١] ؛ التى أخذت تدمر بلا كلل ولا ملل كل اليقينيات والحتميات و المسلمات والبديهيات ، تهدم وتفكك كل المنجز الفكرى البشرى ، وتتركنا فى حالة من اليأس والتشظى والاحباط .

ومع ذلك كان هناك أدراكا ينمو حثيثا خافتا بان الثورة الشكية الهادمة تلك ستتمخض عن فكر ما له طابع البناء . لم تكن قد تحددت ملامحة بعد . وكى لا يبدو كلامى ملغزا ساكون مدرسيا نوعا ما لأوضح ثورة فكرية يرى البعض ان نيرانها لم تطل عالمنا العربى بعد وان كنت اخالفهم الرأى .[٢]

ما بعد الحداثة يا سادتى هى هجرة وقطيعة للحداثة ذاتها ، و لا تتولد تلك الحالة الا فى ظلال الحداثة الفائقة ، اما الحداثة تلك التى هجرتها ما بعد الحداثة وثارت عليها فهى ذاتها ما تدعوا اليه الحركة الطليعية من مفكرى ومثقفى بلادنا ،انها –اى الحداثة - وبتبسيط مخل حركة فكرية انسانية قائمة على محورين هما العقلانية وميلاد الفرد بكل تجليات ذاك المحورين من علمانية وعلماوية و ديمقراطية وحرية وخصوصية فردية واستقلالية وتاريخانية وانسانية ذلك مما هجرته ما بعد الحداثة بعد ازمة انتابت الحداثة فى مقتل ؛ فان كان العقل هو سيد الحداثة فان هذا العقل قادنا بآليات لا شك فيها الى اللاعقل المتمثل ثورة نسبية وكوانتية وفوضوية ،واذا كان التقدم وهو من مصطلحات الحداثة الحميمية قد قادنا لنهاية التاريخ بسيناريوهات نهاية كونية نتيجة جناء الانسان على بيئته وطبيعته ، واذا كانت الديمقراطية تحولت للعبة على يد الساسة حيث لم تعد تعبيرا عن حرية او استقلالية أو فاعلية للانسان الذى اصبح مجرد مستهلك ذو بعد واحد ، هنا كانت مابعد الحداثة كرد فعل قوى وانقلابى على الحداثة .[٣]

التمركز حول الأنثى وهى حركة مضادة لكل تاريخ الفكر والثقافة الذى تميز بالتمركز حول الذكر phallogocentric ، هذه هى الأنثوية ، أو ما يطلق عليها مابعد النسوية ، أو الموجة الثالثة من الحركة النسوية العالمية ، ولكن هذه المرة لم تعد النسوية مجرد حركة حقوقية تهتم بالمساواة بين الرجل والمرأة أو حركة أدبية وثقافية عامة ، هذه المرة الحركة فلسفية تحمل رؤية كونية ونظرية مؤسسة للعلوم والفنون والاداب ، انها.

---

[١] ثورة ما بعد الحداثة : هى ثورة ناتجة عن الشعور بالأحباط من الحداثة و محاولة نقد هذة المرحلة والبحث عن خيارات جديدة ، وكان لها أثر فى العديد من المجالات فى الفن ، والأدب ، والسنيما ،.....الخ

[2] http://www.aljabriabed.net/fikrwanakd/n22_03mutadayin.htm

[٣] -نيكولاسرزبرج، ترجمة ناجي رشوان، توجهات مابعد الحداثة ، المجلس الأعلى للثقافة ، طبعة أولى ،٢٠٠٢م، ص٨.

الفلسفة النسوية

في العقدين الأخيرين من القرن العشرين ، فقد أصبح ممكنًا القول إن المذهب النسوي حاز على درجة عالية من الإعتراف في عدد من الخطابات في الفلسفة والعلوم الإجتماعية والإنسانية ، إذْ انهمك عددٌ من فلاسفة الحركة النسائية في إعداد نظرية سياسية نقدية تساعد على تغيير المجتمع، وجرى البحث عن أسُس فلسفية تقوم عليها هذه النظرية ، بحيث تكون لها سماتٌ تميِّزها عن باقي النظريات السياسية ، بسبب اهتماماتها الدقيقة ، وبرامجها المتنوعة ، وأسئلتها المختلفة بشأن الأسباب النهائية للظلم الواقع على النساء وأساليب مواجهته ، سعيًا إلى إقامة مجتمع حرٍّ إلى أبعد الحدود .

وعلى الرغم من "تمكين" المذهب النسوي في المجتمع الغربي المعاصر، يلاحَظ أنه لا توجد مدرسة أو حركة موحَّدة تمثل هذا الفكر، وإنما توجد حركاتٌ كثيرة تنتمي إلى إيديولوجيات وفلسفات مختلفة: فهناك الفكر النسوي الليبرالي، والماركسي، والاشتراكي، والراديكالي إلخ؛ كما أن هناك اتجاهًا نسويًّا جديدًا تأثر بفلاسفة ما بعد الحداثة Postmodernism، فظهر تحت اسم "ما بعد النسوية" Post-feminism. والملاحَظ أن هذه الجماعات على تنوعها، تشترك في نقدها ومعارضتها للتعصب الديني والعرقي ، وتشترك أيضًا في استخدامها لمفاهيم جديدة ، وفي توسيعها وتطويرها لمفاهيم أَضفتْ عليها عمقًا وأَغنتْ بها الفكرَ السياسي والثقافي .

وتلك المطالب التي عبَّرتْ عنها النسويات بلغة جديدة، ظهرت من خلال نقدهن للنظريات الإجتماعية، فأسهمن في تطوير مفاهيم مثل والإيديولوجيا، والأدوارالإجتماعية. وقد شكَّلتْ مفاهيم الماركسية والفينومينولوجيا[1] الإجتماعية مصادر جديدة للفكر النسوي في الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين.[2]

[1] **الفينومينولوجيا** هي مدرسة فلسفية تعتمد على الخبرة الحدسية للظواهر كنقطة بداية (أي ما تمثله هذه الظاهرة في خبرتنا الواعية) ثم تنطلق من هذهالخبرة لتحليل الظاهرة وأساس معرفتنا بها.

[2] سوزان موللر أوكين ، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام ، النساء فى الفكر السياسي الغربي ،مكتبة الأسرة ، ٢٠٠٥، طبعةأولى ، ص١٣

الموجة النسوية الأولى:

هي موجة المطالبة بحقوق التعليم والعمل وحقوق المرأة المتزوجة بالملكية وحضانة الأطفال، وحق الاقتراع.

تاريخيا ً:

يؤرخ تقليديا لهذه الموجة بظهور مؤلف ماري ولستون كروفت (دفاعا عن حقوق النساء) ١٧٩٢، والتي أوضحت فيه أن النساء بحاجة للعقلانية، التي سيتوصلن إليها عن طريق التعليم، كما ناقشت نظرة المجتمع للأنوثة.

فكرياً:

تصدت مفكرات ومفكري النسوية الأولى إلى ما توارثته الذاكرة الجمعية والفردية من أفكار سلبية عن المرأة من خلال صورة المرأة في التراث اليهودي والمسيحي- المرأة أصل الخطيئة-، وصورة المرأة في أعمال ومواقف العديد من المفكرين والفلاسفة الغربيين تجاه المرأة من (أفلاطون) الذي يصنف المرأة في درجة دنيا مع العبيد والأشرار والمخبولين والمرضى، إلى الفلاسفة المتأخرين مثل (ديكارت) من خلال فلسفته الثنائية التي تقوم على العقل والمادة: فيربط العقل بالذكر ويربط المادة بالمرأة، مرورا ب (كانط) الذي يصف المرأة بأنها ضعيفة في تكوينها ككل، وبخاصة في قدراتها العقلية، وفيلسوف الثورة الفرنسية (جان جاك رسو) الذي يقول: إن المرأة وجدت من أجل الجنس ومن أجل الإنجاب فقط ، و (فرويد) رائد مدرسة التحليل النفسي، الذي يرجع كل مشاكل المرأة إلى معاناتها من عقدة النقص تجاه العضو المذكر.

وقد أدت تلك المراجعات النقدية للأطر والمناهج العامة للفكر الغربي إلى بلورة طروحات نسوية جديدة ، أثبتت أن النظرة الدونية للمرأة ما هي إلا نتاج تأثيرات الثقافات السائدة ، التي لا تمتلك أي جذور حقيقية أو مصادر طبيعية تستند عليها. إذ أنها نتاج النظام البطركي (الأبوي) الذي جرى بناؤه منذ آلاف السنين: نظام هيمنة ذكورية ظل متماسكا ً رغم كل الثورات والتطورات التكنولوجية التي حصلت على مر القرون الماضية ، مما أدى إلى علاقات تراتبية بين الجنسين، تحولت إلى قناعات راسخة عند كل منهما.

ميدانيا ً:

بدأت في أمريكا الدعوة لحقوق النساء في مؤتمر كبير في سينكا فولز عام ١٨٤٨ م ، شارك فيه أكثر من ٣٠٠ شخصية منهم ٤٠ رجلاً، كان من أهم مطالبه وقف التمييز ضد النساء. وقد اهتمت الأمريكيات بحق التعليم، العدالة وتحرير العبيد، وحق التصويت.

أما في انكلترا فتظاهرت المطالب النسوية في الخمسينات من القرن التاسع عشر بالمطالبة بحق التعليم والعمل وتعديل قوانين الزواج (حقوق المتزوجات بالملكية والحضانة)، فقادت الناشطات النسويات حملة حضانة الأطفال بداية من عام ١٨٣٨ م ، ووثيقة المطالبة بحق الملكية للمرأة المتزوجة عام ١٨٥٧ م ، وقد اتهمت الحركة النسوية البريطانية بأنها تقصر اهتمامها على مشكلات بنات الطبقة الوسطى .[1]

[1] -http://www.doroob.com/?p=200

الموجة النسوية الثانية:

تاريخياً:

تشير الموجة الثانية إلى نشاطات الحركة النسوية الممتدة بين عام ١٩٦٠م ، و حتى نهايات القرن العشرين. في هذه المرحلة بدأت الحركة النسوية تأخذ طابعا ً عالميا ً يشمل "المرأة" في جميع أنحاء العالم . وفيها تجاوزت مطلب المساواة واعتمدت النقد العقلاني ، وظهرت فيها تيارات ومذاهب عديدة، اعتمدت لغة التحرر من القمع السياسي والاجتماعي والجنسي.

فكرياً:

دعت الموجة الثانية إلى إعادة تشكيل الصورة الثقافية للأنوثة بما يسمح للمرأة بالوصول إلى النضوج واكتمال الذات أي تحقيق الأنوثة. ذلك لان الأنوثة غامضة وغريزية وقريبة من خلق الحياة واصلها، إلى درجة أن العلم الذي صنعه الرجل قد لا يستطيع فهمها.

وعلى الرغم من أن أوج فترة الموجة الثانية من النسوية يرتبط عامة بصدور كتاب كيت ميليت Kate Millett عن السياسات الجنسية(Sexual Politics 1970) إلا أن العديد من الأفكار التي أثرت على الموجة الثانية من الحركة النسوية، وكذلك العديد من الأفكار التي سعت بعض النسويات لمواجهتها وتحديها، يمكن تتبع أصولها إلى:

ميدانيا ً:

ينظر إلى "الموجة الثانية" من النسوية التي تعود إلى السبعينات من القرن العشرين باعتبارها فترة نشر المفاهيم النسوية جماهيريا ففي أميريكا أسست فردان المنظمة الوطنية للمرأة، التي اعتمدت الفكر الليبرالي في المساواة وحقوق الأفراد أما في انكلترا فقد ظهر سياق مختلف هو السياق الاقتصادي الاجتماعي، وكان تحرك العاملات في شركة فوردزعام ١٩٦٨ للمطالبة بمساواة أجورهن بالعمال ملهما للكثير من الناشطات النسويات، وعقد أول مؤتمر وطني لتحرير النساء في راسكن خرج بمجموعة من المطالب: المساواة في الأجور والتعليم، إنشاء حضانات، وحرية في استخدام موانع الحمل والاجهاض، وقد وجدت حركات نسوية ليبرالية في انكلترا ، إلا ان المنحى الأساسي للحركة النسوية البريطانية اتخذ منحى اشتراكيا ماركسيا.[١]

في فرنسا ميزت نفسها حركة تحرير المرأة عن الحركة الطلابية ١٩٦٨، بتركيزها على أوضاع النساء مستلهمة أفكار سيمون دي بوفوار، ومنتقدة مدرسة التحليل النفسي الفرويدية. تشير ((المسيرة العالمية للمرأة)) ضد العنف والفقر ومشاركة النسويين الفاعلة في اللقاءات المواطنية مثل ((منتدى بورتو أليغري)) الى خروج الحركة النسوية من ((انعزاليتها)) الأولى.

- كتاب "أصل العائلة والملكية الخاصة والدولة" لفردريك انجلز، الذي لخص فيه أبحاث باهوفن ومورغان، وكذلك دراساته هو وماركس في هذا الإطار، وأنا اعتبر أن هذا الكتاب من أهم الكتب التي اعتمدت عليها الحركة النسوية إن لم يكن أهمها على الإطلاق، إذ أنه يبرز بشكل غير قابل للبس أن النظام الأبوي البطريركي الذي قام على سيطرة وتفوق واضهاد الرجل للمرأة ليس من الصفات المميزة للطبيعة البشرية، وليست السمة الوحيدة التي وسمت المجتمعات منذ بدء الخليقة،

[1]- www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=165211

بل أن البشرية عاشت العصر الأمومي، الذي كانت فيه القرابة تحسب وفقا لخط الأم، وكانت فيه الملكية جماعية، فكل ما تملكه القبيلة ملك لجميع أفرادها، قبل أن يتم الانقلاب الكبير الذي سيطر فيه المجتمع الأبوي البطريركي على مقاليد الأمور بظهور الملكية الخاصة، وتم اسقاط الحق الأمي وتلك كانت الهزيمة التاريخية العالمية لجنس النساء، إذ ظهر شكل العائلة البطريركية، بشكل الزواج الأحادي، والذي كما يقول انجلز كان أحاديا للمرأة فقط، التي فرضت عليها قيود العفة، وفرضت عليها رقابة صارمة بلغت حدود حبسها في البيت أو مراقبتها بشكل دائم (من قبل الخصيان والعبيد أو العائلة) كي يضمن الرجل أن من تلدهم هم أولاده وأن ملكيته ستنتقل لمن هم بالتأكيد من صلبه، في حين أوجد النظام البطريركي مؤسسات البغاء والجواري التي تؤمن للزوج حرية ممارسة الجنس خارج إطار الزواج الأحادي، وتدريجيا تدنت قيمة المرأة داخل الأسرة لتتحول إلى وعاء لتأمين متعة الرجل ووسيلة لإنجاب الأولاد، ومن ثم عبدة للرجل، " وعليه لا يدخل الزواج الأحادي إطلاقا في التاريخ بوصفه اتحادا اختياريا بين المرأة والرجل، ولا بوصفه الشكل الأعلى لهذا الاتحاد، بل بالعكس، فهو يظهر كاستعباد جنس من قبل جنس آخر" ص ٨٢ ، كما أن الزواج هذا كان غالبا زواجا طبقيا يعقد كصفقة بين عائلتي الزوجين وهو ما أسماه انجلز بزواج الانتفاع، وهنا لا تؤجر المرأة جسدها كالبغي في كل مرة، بل تبيعه دفعة واحدة وإلى الأبد كالعبدة، ولم يكن هذا الزواج يقوم على الحب ، بل على العكس كان الحب الذي حكت عنه الكثير من الأشعار والروايات هو الحب الذي لا ينتهي بالزواج.

وهكذا بدأ عصر اضطهاد المرأة مترافقا مع كافة أشكال قهر الإنسان لأخيه الإنسان ، فالسيطرة الذكورية ارتبطت بسيطرة القوة، واستغلال الأقوى للأضعف، ذلك الاستغلال الذي تحول إلى سياسة ثابتة حكمت جميع المجتمعات البشرية ولا زالت تحكمها حتى اليوم. وقد انطلقت جميع الدراسات النسوية اللاحقة من هذه النقطة والتي حتى وإن لم يشر إليها الباحث مباشرة فهي موجودة قي ثنايا الأفكار التي يطرحها، لأن جميع الدراسات اللاحقة اعتبرت العصر الأمومي، الذي تلاه العصر البطريركي الأبوي هو من المسلمات التي لا تحتاج إلى نقاش.[١]

- والكتاب الآخر الذي يعتبر مؤسسا للفكر النسوي هو كتاب سيمون دي بوفوار Simone de Beauvoir "الجنس الآخر" (The Second Sex) 1949، فقد وضعت سيمون دي بوفوار في كتابها الرائد أسس مفهوم الجندر / الجنوسة /[٢] النوع الاجتماعي بعبارتها (لا تولد المرأة امرأة، ولكن المجتمع هو الذي يعلمها أن تكون امرأة) كما توازي سيمون دي بوفوار بين مصير الذات الخاضعة للاستعمار وبين مصير النساء، وهي مقارنة تسلط الضوء على ميل الحركة النسوية إلى تعميم أشكال القهر، وبالتالي تجاهل التعقيدات والخصوصيات التي تتعلق بالانتماء إلى الآخر على أساس الجنس أو العرق أو الثقافة، وترى سيمون دي بوفوار Simone de Beauvoir أن المقولة المعادية للنسوية في القرن التاسع عشر، والقائلة بأن النساء متساويات ولكنهن مختلفات عن الرجال، هي مقولة تعيد إنتاج صيغ شبيهة من التمييز ضد النساء مثل قوانين الفصل العنصري ضد الأمريكيين من أصول أفريقية. كما تؤكد دي بوفوار في كتابها على المرأة بصفتها "الآخر" بالمعنى الفلسفي، وليس بمعنى "الغير" في العلوم الإنسانية، أي الفرد الذي تحدد خصائصه الذهنية والنفسية والبدنية باعتبارها الخصائص المضادة أو المقابلة للخصائص المعيارية للرجل.

---

[١] - نفس المرجع السابق .

[٢] **الجندر (الجنس)Gender** حسب بعض الترجمات هو علم الجنس السوسيولوجي/الاجتماعي ويعني المصطلح دراسة المتغيرات حول مكانة كل من المرأة والرجل في المجتمع بغض النظر حول الفروقات البيولوجية بينهما وفقاً لدراسة الأدوار التي يقومان بها، أي أن المرأة والرجل ينبغي النظر إليهما من منطلق كونهما إنسان

- كما يعتبر البعض كتاب بيتي فريدان Betty Friedan وهى رائدة الحركة النسوية فى أمريكا "الغموض الأنثوي" (The Feminine Mystique)، والذي صدر عام ١٩٦٣ م ، من أمهات الكتب النسوية، والذي طرحت فيه أن تحرر النساء يبنى على تحريرهن في المجال الخاص (الأدوار الانجابية والخدمية)، وانتقالهن إلى المجال العام، كما طرحت بيتي فردان مفهوم العمل المرن، والتمييز الايجابي. وعقدت مقارنة بين موقف النساء الممنوعات من التصويت والانتخاب وبين الأمريكيين من أصول أفريقية، مؤكدة على أنه من خلال مشاركة النساء في منظمات مناهضة العبودية أدركن أنهن أيضا يعانين من نوع من العبودية، وأنهن أيضا يحتجن إلى التحرر.

انقسمت الحركة النسوية في هذه الموجة إلى تيارات ومناهج عدة، تشير أغلب الأبحاث إلى أربعة رئيسية منها هي:

- النسوية الماركسية MARXIST FEMINISM
- النسوية الليبرالية LIBERAL FEMINISM
- النسوية الاشتراكية SOCIALIST FEMINISM
- النسوية الراديكالية RADICAL FEMINISM

في حين تضيف أبحاث أخرى إلى تلك تيارات أخرى هي :

- النسوية البيئية ENVIRONMENTAL FEMINISM
- النسوية السوداء BLACK FEMINISM
- النسوية الثقافية CULTURAL FEMINISM
- النسوية الوجودية EXISTENTIAL FEMINISM

تمثل النسوية الاشتراكية والليبرالية والماركسية اكثر من ٨٠% من النسويات الغربيات، أما المدارس الأخرى كالنسوية الراديكالية والبيئية فإنها تمثل حوالي ١٠% من المدارس النسوية. تتشابه وتتقارب مطالب النسوية بشكل عام، لانها بمجملها مطالب حقوقية إنسانية (العدل المساواة عدم التمييز بين البشر كونهم كلهم بشر ، و رفع الظلم الخ...) لكن لكل تيار فكر وأيديولوجية معينة.[1]

[1] -www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=1065

النسوية الماركسية :

المفكرات النسويات أدركن أن المفاهيم المتاحة في الإطار الماركسي لا تكفي وحدها لتأسيس نظرية عقلانية حول الجنسية. ولذلك تمَّ البحث عن مصادر جديدة ، تمثلتْ في التركيز على المنعطف اللغوي، الذي كان له أثرٌ مهم في حقل الإنسانيات والفلسفة والعلوم الإجتماعية ، كما تمثلت في الأخذ عن فلاسفة ما بعد الحداثة (فوكو، دريدا) وعن التحليل النفسي اللاكاني – وهو ما جعل النظرية النقدية عندهن تتحول من مجال العلوم الإجتماعية والتاريخية إلى مجال الفلسفة والدراسات الأدبية والثقافية.

وقد لوحظ في الربع الأخير من القرن العشرين ، تشكُّل فلسفة نسوية متطورة نسبيًّا ، تتضمن مفاهيم عديدة تمَّ إبداعُها وتطويرها على يدي مفكرات وفلاسفة الحركات النسوية، من أبرزها مفهوم "الجنس" gender ، ومفهوم "القهر" oppression. ولما كان تطوُّر هذه المفاهيم يعكس تطورًا في الفكر السياسي النسوي المعاصر، فقد توقفنا عند هذة المفاهيم وكيفية ربطها بمصادرها الأساسية المتحولة داخل الفكر النسوي المعاصر.

ومنها نستطيع أن نتبيَّن أن اقتحام الفكر النسوي للمجال الفلسفي يعود إلى القرن الثامن عشر عند رائدته ماري ولتسو نكرافت. وفي هذا المنحى، اتجهت مفكرات المذهب النسوي إلى تحليل التراث الفلسفي ونقده ، ولاسيما ما تضمنتْه الفلسفةُ السياسية الكلاسيكية من نصوص تعبِّر عن موقف سلبي من النساء ، من حيث هي آراء "ذكورية"، تقوم على أساس الهرمية الاجتماعية الترتيبي social hierarchy ، وفيها يظهر التصدي النسوي لآراء أفلاطون وتأويلاتها المعادية للمرأة ، ولآراء ديكارت ، التي تصفها جين فلاكس بأنها محاولة للهروب من الجسد والجنس وغواية اللاوعي .

من هذا القبيل نقد كارول غولدمان Carole Goldman للتراث الفلسفي، من حيث أنه هو أحادي الرؤية ؛ ومنه أيضًا ما ذهبت إليه مارسيل لاكوست Marcel lacote من أن الفلسفة التقليدية استخدمت مجموعةً من الوسائل لتسوّغ التفرقة والتمايز. ومن أجل البرهنة على فكرتها هذه، تتعرض لنقد فلسفة هيوم الأخلاقية وفلسفة جان جاك روسو الاجتماعية ، من حيث هما فلسفتان ذكوريتان تُقرَّان القسمة الثنائية التقليدية، شكلاً ومضمونًا. وهو ما دفعت به فلاكس بعيدًا، إذ عدَّتْ جميع النظريات الفلسفية التقليدية رُجُعَ صدى لخبرات طفولة الفلاسفة الذكور ومشكلاتهم. فهي ترى أن هذه النظريات تتسم برفض كلِّ سمة تفاعلية واجتماعية في التطور البشري، وتتضمن أشكالاً من الفردانية، وتركز على العزلة والاستقلال، وعلى التعارض بين الروح والجسد، وبين العقل والعاطفة، وتفصح عن أفكار السيادة والهيمنة والتحكم في الجسد والعواطف، وتصطدم بالخوف من المرأة ..[1]

[1] - الأسس الفلسفية للفكر النسوي الغربي ، خديجة العزيزي ، دار بيسان، بيروت، طبعة أولى : ٢٠٠٥.